تجليات الحوار في الخطاب السردي
عند محمد مفلاح.

أ. زاوي أحمد / مركز الجامعي بغيليزان
Ahzaoui31@yahoo.fr

ملخص:

وقد آثرنا الحديث عن تشكل لغة الحوار من خلال الخطاب السردي من خلال بنيته اللغوية، ووقع اختيارنا على بعض روايات محمد مفلاح إذ تحوي قدرا لا بأس به من الحوار الاجتماعي.

ولاشك أن الحوار حقل خصب لنظرية التداولية، وهو بنية لغوية للمسرحية ويمثل العمود الفقري فيها، ثم انتقل إلى القصة القصيرة والرواية .

Résumé

Nous avons évoqué la formation de la langue du dialogue à travers le discours relaté et sa structure langagière, nous avons choisi des quelques écrits de Mohamed Fefleh car ils sont très riches en dialogue sociologique.

Et sans aucun doute le dialogue représente un champ fertile pour la théorie délibérative, c'est une structure langagière conçue pour le théâtre; ensuite l'auteur est passé par la nouvelle et par le roman.

OOO

مفهوم الحوار ودلالته :

يعني الحوار في اللغة مراجعة الكلام بين طرفين متخاطبين، ويكاد يجمع جل المعجميين العرب حول مفهومه، فأصل كلمة الحوار في لسان العـرب مـن ((الـحـور(بفتح الحاء وسكون الواو)، وهو الرجوع عن الشيء والى الشيء، فيقال حار إلى الشيء وعنه حورا، ومحارا ومحارة وحؤورا: رجع عنه واليه، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة)). (1).

ويعني الحوار في القاموس المحيط: الرجوع، كالمحار والمحارة، والحؤور، والنقصان والمحاورة والمحورة: الجواب كالحوير والحوار ويكسر، والحيرة

والحويرة مراجعة النطق، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم... والتحاور التجاوب " (2) .

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري ((حاورته: راجعته الكلام، وهو حسن الكلام، وكلمته فما رد علي محورة، وما أحار جوابا أي ما رجع)) (3).

وقد اهتمت نظريات الاتصال الحديثة بالحوار، وكثيرا ما وصفوه بمصطلحات كثيرة كالتخاطب والتفاعل والمحادثة، وإن كانت تتفاوت معانيها دلاليا، فإنها تنتمي في مجملها إلى حقل التواصل الذي يشمل أسلوب الحوار .

ولا شك أن المتكلم والسامع يشكلان البنية الأولية للكلام، وبهما يكتمل التفاعل ويتطور، لأنهما يمثلان قطبي الحوار، ويتبادلان الأدوار، ((وكل منهما يقتضي الآخر بالضرورة، إذ لا يمكن أن نبلغ شيئا ما دون وجود الآخر، ولا يكون هذا الآخر مستقبلا أو سامعا محايدا بل يكون فاعلا، أي سائلا ومجيبا في الآن نفسه)) (4)، لأن المتكلم يتحول إلى سامع والسامع بدوره يتحول إلى متكلم أثناء الحوار.

ويشكل الحوار باعتباره ظاهرة إنسانية عنصرا مهما من عناصر التواصل البشري، ذلك أن أي تفاعل بين طرفين أو أكثر يستوجب الفعل ورد الفعل، من أجل غاية إخبارية أو إقناعية أو تواصلية أو حجاجية .

ويتشكل التفاعل التواصلي من مفهومين: مفهوم **التفاعل interaction**، ومفهوم **التواصل communication**. فالتفاعل هو مشاركة طرفي الحوار في الكلام حول مضامين إنسانية معينة، أما ((التواصل فهو التبادل الكلامي بين شخص متكلم sujet parlant الذي ينتج ملفوظا موجها إلى متكلم، وهذا المخاطب interlocuteur، يلتمس الاستماع أو الجواب الصريح أو المضمر حسب نمط الملفوظ)) (5) .

ويعني التواصل بهذا المفهوم الحالة التي يصل إليها الحوار بين متكلمين أو أكثر، كل منهما يسهم في عملية الحوار التي تتطلب مكونات لسانية تمثلها اللغة، وخارج لسانية يمثلها أطراف الحوار.

وقد ارتبط الحوار بأهم الدراسات اللغوية الحديثة التي تسعى لكشف كوامن النص الأدبي وتحليله ومقاربته، خصوصا في الأعمال السردية والمسرحية التي يمثل فيها الحوار جزءا هاما من أحداثها ومشاهدها، فالرواية فن يعتمد على الحوار الذي يجري بين شخصياتها، فتمثل إحداها المرسل، وتمثل الأخرى المرسل إليه، فيتم التخاطب والتحاور بالتداول، ويجب الاهتمام

بالحوار الروائي الذي تبديه الشخصيات من خلال الكلام بمعية السارد، الذي فوضه الكاتب الحقيقي لهذه المهمة الفنية، أو بمعزل عنه إذا كان هذا الأخير ساردا محايدا عن الشخوص، مراقبا للأحداث من بعيد .

قواعد المحادثة أو(الحوار) :

اهتم جل علماء اللغة بالمحادثة، ومنهم (لابوف/ laboof) و(ترودجل/ Trodgeel و(هدسن / Haydson) وغير هؤلاء كثير، وأوجدوا لها نظاما، أما (بول غرايس/ Poul Ghrayes) فاقترح عدة مبادئ للمحادثة هي:

1- مبدأ التعاون: ويقوم على مساهمة المتكلم وفق ما يقتضيه الحال أثناء الحديث فيشارك فيه ويفعله، ويعرض أفكاره ويستفيد من الآخرين .

2 - مبدأ الكم: ويتمثل في كلام الفرد في موضوع ما، فلا يخبر السامع بما يعرف، بل يفيده بما يجهل، أو يشكك في صحته، ولا بد أن يتكلم بالقدر والكم المطلوبين، فلا يخرج عن الموضوع، كما يجب أن تكون عباراته واضحة دقيقة حتى لا ينحرف عن المقصد، وحتى لا يساء فهمه.

3 - مبدأ القيمة: ويهدف هذا المبدأ إلى الصدق في الكلام مع الغير لكن المحادثة غالبا ما تتضمن الكذب وفق ما تقتضيه الأعراف الاجتماعية كالمجاملات والمدح.

4 - مبدأ العلاقة: ويقصد به أن يكون كلامنا متعلقا ببعض، ويكون مناسبا، فلا نتكلم أشياء لا يقتضيها المقام، أو نخرج عن الموضوع كأن ندمج معلومات لم يحن أوانها .

5 - مبدأ الكيف (الأسلوب): وهو مبدأ يقوم على الوضوح في الكلام، والابتعاد عن اللبس والغموض. ولابد للمتحاورين من الإيجاز في الحديث والترتيب في الأفكار حتى ينجح الحوار، وكثيرا ما يتم الكلام تلقائيا، حيث لا يراعي أحد المتحاورين هذه المبادئ، فيتدخل آخر ليصحح، أو ليستدرك ما نسي، كأن يقول أحدهما أنا لا أفهم شيئا مما تقول، وربما يقع الحوار في انسداد، أو يتحول إلى مشادات كلامية.

وتتموقع دراسة وتحليل المحادثة والحوار ضمن علم اهتم به علماء الاجتماع هو علم النص أو علم الخطاب ، وقد اهتم علم اللغة الاجتماعي، باللغة المنطوقة عامة، والمحادثة خاصة، وذلك لعلاقته المتينة بالتفاعل الاجتماعي، وما تزال الدراسات في هذا المجال في أول الطريق كما يقول هدسن،

لأن السلوك اللغوي التخاطبي، ذو بنية خاصة، تختلف عن الملفوظات الأخرى، لأنها خطاب قائم بين الفعل ورد الفعل .

ووضع المختصون علم اللغة الاجتماعي، المحادثة أو الحوار ضمن سلاسل كلامية مختلفة ومتنوعة، وصنفوها في أنماط هي على النحو الآتي:

النمط الأول: (سؤال وجواب)، وهذا النمط نصادفه بكثرة في الأعمال الروائية، وقد تجلى بوضوح في روايات محمد مفلاح ومن أمثلته هذا الحوار.

- الضابط: ما اسمك ؟
- حماد الفلاقي
- الضابط: ما ذا تفعل هنا ؟

– هربت من الجوع، لي زوجة وثلاثة أطفال، ولكن ليس لي أي دخل(6) .

النمط الثاني: وفيه يمكن أن يكون الجواب سؤالا، ويمكن أن يحدث عكس ذلك، كما يبدو في الحوار الآتي:

- قال حماد لزوجته: لم كل هذا البكاء ؟
- وقالت فاطمة: إني خائفة يا حماد ...قد يقتلك الوحوش ؟
- قاطعها حمد قائلا: يا فاطمة انك تعذبيني بمخاوفك هذه ...
- فكر في أولادك.

– وماذا أفعل لهم ؟ (7)

النمط ثالث: وهي سلسلة شائعة تنبني من طلب (نداء، دعوة) وإجابة كما يظهر هنا

– مد منصور يده وقال: لا تسخر مني إذا أفضيت لك بسر.

– كيف أسخر من أسرار سي منصور ؟

– لابد أن نشرب قهوة أولا، ثم سأحدثك بما يشغلني (8).

ولقد وجدنا أنماطا أخرى من الحوار غير هذه في روايات محمد مفلاح منه ما يظهر في هذا المقطع الحواري :

- أنت رائعة ... رائعة وشهية ك ...
- كقنينة خمر...
- وقالت له مبتسمة: قضت عليك ربيعة (9).

ويتضمن هذا الحوار إخبارا بما يشعر به المتكلم نحو المخاطب، ولا يحتاج إلى سؤال، وكذلك جوابه يكون حسب السياق، لا ردا على جوابه مثلا: أنا لست كما تتوهمين أو غير ذلك، وإنما هي تنبهه بحب ربيعة التي سلبت لبه .

وهناك سلاسل حوارية أخرى درسها (هدسن)، وتتمثل في **تحية اللقاء** التي تعد مدخلا للحديث، وهي البوابة التي ينطلق منها الخطاب بين المتكلمين و**عبارة النهاية** وتدل على الخروج من الحوار، وتتمثل في عبارة الوداع، وتلعب عبارة المدخل والمخرج أهمية بالغة في التفاعل بين المتكلم والمخاطب **(10)**.

ولكن ليس بالضرورة أن يبدأ المتخاطبان الحوار دائما بالتحية، ويختتم بالوداع، فكثيرا ما يحدث الحوار دون ذلك خصوصا في الأماكن العامة كالحافلات، والمقاهي والأسواق، ومثل هذا وارد في روايات محمد مفلاح، كقوله على لسان سارديه في هذا المقطع ((تابعت سيرها، قطعت مسافة طويلة ... التقت برجل كان يدفع عربة، فسألته عن بيت جلول الكي ...

- هل أنت والدته ؟
- هزت مريم رأسها وهي تقول: لا ..
- فقال بخشونة: قهرنا الوحش وكدر حياتنا .

ثم سألها بعطف: وماذا فعل لك هذا الوحش ؟ هل سرقك يا خالة ؟

- تمتمت مريم بلوعة: - أنا أخته .
- ... العفو يا خالة)) **(11)**.

ولا نكاد نلمح في هـذا المقطع عبارة الدخول، لأن السياق الاجتماعي لا يقتضيه، فمريم كانت في الشارع محتارة، فهي لا تعرف الرجل الذي سألته، فلم يكن الوقت كافيا حتى تطيل معه الحوار.

وغالبا ما يبدأ الحوار بالتحية دون الوداع، أو يبدأ بدون التحية ويختم بالوداع. فالسياق الاجتماعي هو الذي يمكن المتخاطبان من ذلك. ومثل ذلك ما نجده في هذا المقطع:

((ألقى التحية على نعيمة بلهجة متلعثمة: - نهارك سعيد يا نعيمة .

رمقته بنظرة ذات معنى، ولم ترد على تحيته ... اقترب منها وقال لها :

- اشتقت إلى رؤيتك، ومد نحوها يده اليمنى قائلا :
- تعالي تعالي ... لقد قررت أن أغير حياتي .
- أشارت إليه أن يبتعد عنها، جمد عواد الروجي في مكانه وقال لها بحزن :

- أنا أريدك على سنة الله ورسوله ...
- أنا لن أقبل بك زوجا ...)) **(12)**

والمتأمل لهذا الحوار، يجد أن عبارات اللقاء أو الوداع قد تنعدم من أحد المتخاطبين في ظرف كهذا، لأن السياق الاجتماعي يتحكم في مثل هذه المواقف، فعواد الروجي قد غامر باقترابه من المرأة ليغازلها، ويطلب يدها للزواج، فالموقف العاطفي لا يفتح شهية الحوار، إذ عمد الطرف الآخر لغلق الحوار، فأصبح مبتورا خاليا من التفاعل المطلوب، ولو أن المرأة تجاوبت معه وكان لها رغبة في ذلك لاكتمل الحوار وطال بينهما .

ويشير (هدسن) من ناحية ثانية، أن ((ثمة نوع من البنية في الخطاب الحواري، تعتمد على موضوع الحديث، والغالب، أن المتحدثين يغيرون من موضوعاتهم، من خلال تبادل الأدوار، وبنية هذا النوع هرمية غالبا، ينتقل فيها المتحدث من بنية كبرى إلى بنية صغرى بصورة متدرجة، وهذا صعب إلى حد كبير)) **(13)**

وأغلب الظن أن الظروف العامة للمتحدثين، والسياق العام هو الذي يتيح انتقال المتحدثين من الموضوع الأهم، إلى مواضيع أخرى تنتمي إلى نفس حقله المفهومي، دون أن نسيان عامل الزمن الذي يسمح أو يمنع مثل هذا الانتقال أثناء الحوار .

لكن من الصعوبة بمكان، أن يكون الانتقال متدرجا، هذا التدرج الذي أشار إليه (هدسن) أثناء الحوار يكون نادرا، إذ تغلب العشوائية عليه خصوصا لدى غير المثقفين ثقافة واسعة .

وقد يتم الانتقال ضمن الموضوع الواحد إلى مواضيع شتى، ففي محادثة رجلين عن الفلاحة مثلا، نتوقع أن يتناول المشاركون مثلا (الأمطار والمنتوج والحشرات الضارة وديون الفلاحين) وغير ذلك كثير.

ونحسب أن هذا النوع من الحوار قد يتواجد في الرواية، لكنه لا يكون متصلا، بل متقطعا في صفحات النص الروائي أثناء سرد الراوي للأحداث .

وتقوم المحادثة أو الحوار على تبادل الكلام بين الأطراف المتكلمة بالتداول، فيعبر كل منهم عن رأيه، ويبدي وجهة نظره. لكنه كلام يتطلب التنظيم، إذ يتكلم كل واحد بالتناوب، ويسمع لغيره، وإذا كان الكلام عشوائيا، فإنه لا يرقى إلى مستوى الحوار الجاد المنظم، وقد أكد علماء اللغة المهتمين بالحوار أن ((التناوب في المحادثة نشاط يعبر عن مهارة بالغة، وأنه يتطلب

دراسة أنواع عديدة من النشاط المصاحب للكلام، بالإضافة إلى الكلام نفسه مثل حركة العينين، حيث تكون هذه الأنشطة كلها متناسقة، ومتزامنة من ناحية التوقيت الدقيق، كما تكون ردود أفعال المشاركين فيه غاية في الدقة والانتظام)) (14).

والحوار الناجح الذي يشير إليه محمد حسن عبد العزيز في هذا القول، هو تلك المحادثة التي يتكلم في صلبها المتحاوران بالتناوب، بحيث يتكلم الواحد منهما بالقدر الذي يسمح به الموضوع، والوقت والسياق، ثم يترك مجالا للآخر ليعقب عليه، أو يفهمه أو يشرح له أو يخبره .

الحوار غير اللفظي :

ويصاحب الحوار نشاطات أخرى مثل حركة اليدين والعينين، وتقطيب الوجه، وحركات الرأس، ومختلف الإيماءات، لأنها بمثابة الكلام، بل هي لغة جسدية يبديها المتكلم أثناء حواره مع الآخرين، ولابد للحوار أن يكون منتظما دقيقا، بحيث لا تتعدد مواضيعه دون أن يعطى الموضوع الأساسي حقه من الكلام.

الحوار من خلال حركات الجسم:

لاشك أن الإشارات الجسمية كثيرة، وغالبا ما تصحب اللغة المنطوقة أثناء الكلام، وتدخل ضمن بنية اللغة الحوارية، و((هذه الإشارات ذات أهمية في تحليل النص المنطوق ... ولوحظ أن هذه الإشارات تزيد في التواصل اللغوي ذي الوظيفة الاجتماعية، وتقل في أنواع أخرى من النصوص الشفاهية، لكن إغفالها عند التحليل قد يؤثر بعض الأحيان في الوصول إلى المعنى المقصود)) .15

ومعلوم أن الإشارات والحركات الجسمية باختلاف أنواعها وكثرتها تصاحب الكلام اليومي، وتظهر بجلاء من خلال حوار الأفراد، ونستطيع عدها بنية ضمن بنيات الحوار الإنساني .

وقد قسم جمعان عبد الكريم الإشارات الجسمية المصاحبة للنص اللغوي مستفيدا من غيره إلى أربع أنواع :

1 – الإشارات الجسمية الإنسانية العامة: وهي إشارات تصاحب الكلام وتأتي بصورة عفوية وتشترك فيها جميع الشعوب، وتعبر عن الحالات النفسية الناتجة عن الحياة الاجتماعية .

2 – الإشارات الجسمية الخاصة: وهي إشارات تخص شعبا معينا أو طبقة خاصة أو قوما في مجتمع ما، ويختلف تفسيرها من ثقافة إلى أخرى .

3 – الإشارات الجسمية الفردية: وهي عبارة عن حركات وإشارات يبديها بعض الأفراد أثناء كلامهم، وغالبا ما تكون مبتكرة مثل استخدام اليد والأصابع أثناء الكلام .

4 – الإشارات التوضيحية: وهي إشارات يقوم بها الفرد مستخدما بعض أعضاء جسمه مثل اليدين، لتوضيح شيء ما أو شرح موقف معين.**16**

ويستفاد مما سبق، أن الحركات الجسمية والإشارات هي بنيات مهمة من بنيات اللغة أثناء الحوار، وأنها تختلف من مجتمع لآخر، والمجتمع الجزائري من المجتمعات التي يستخدم أفرادها حركات الأيدي والأصابع أثناء الكلام، لاسيما سكان الناحية الغربية من الوطن .

وسنهتم في هذا المبحث بشخصيات محمد مفلاح التي وظفها في رواياته، والتي حاول أن يستنسخها من واقع مدينة غليزان، ويعبر عن واقعها المعاش. وسنركز دراستنا في هذا المبحث عن أهم أعضاء الجسم التي تسهم في تشكيل بنية لغة النص الروائي، ومن أهم هذه الأعضاء :

1 – تعبيرات الوجه: يعد الوجه من بين أهم أعضاء الإنسان، وغالبا ما يكون ناطقا أو يؤدي بعض الإيماءات للتعبير على شيء ما، لأنه بمثابة المرآة التي تعكس الصور

ولغته صامتة غير لفظية، كما ود في الحكمة المأثورة: ((ما من رجل أضمر شرا إلا وظهر في فلتات لسانه وقسمات وجهه))، ف ((معنى الجملة لا يتحدد دائما وبشكل مطلق بمفرداتها ومعناها القواعدي، فهناك مؤثرات خارج الجملة قد تؤثر في معناها قليلا أو كثيرا، ومن هذه المؤثرات ... انفعالات الوجه، وكثير من هذه الانفعالات تظهر في العينين ... كما تظهر الانفعالات في الشكل الذي تتخذه الشفتان سرورا أو حزنا))**17**

2 – حركة العينين: غالبا ما تؤدي حركة العين لغة خاصة تعرف بلغة العيون، وكلما تغيرت حركتها من وضعية لأخرى، تفيد معنى معينا فأثناء أي (سؤال أو استغراب أو إنكار أو غير ذلك غالبا ما يصاحبها تعبيرات الوجه، ففي السؤال يكون هناك رفع للحاجبين قليلا إلى الوراء وفتح مع سكون لحظي لحدقة العين مع شد عضلات الجبهة إلى الخلف، وهذا الوضع يزيد شدة التعجب والإنكار))**18** .

وقد وجدنا محمد مفلاح يوظف هذا النوع من الحوار غير اللفظي، في بعض المواقف من حوار الشخصيات، ومن أمثلة ذلك حوار عباس البري مع كاتبة الوزارة التي تكلم معها طالبا زيارة صديقه الذي يشتغل بها :

((استقبلته السكرتية المحجبة بابتسامة باهتة فقال لها بأدب جم :

- أنا عباس البري صديق السيد فايز.. أريد مقابلته.

حركت السكرتيرة حاجبيها المقوستين بعناية وقالت له بسرعة :

- إن السيد الشكوري في مهمة .

قال لها عباس بلطف :

- لقد وعدني بمقابلته في أي وقت.

هزت السكرتيرة أسها متعجبة وقالت له ببرودة: سيستقبلك بعد عودته))**19**.

ويظهر من هذا الحوار الذي تصاحبه حركات العين، ففي البداية لما حكت الكاتبة حاجبيها إنما عبرت عن تذمرها ومللها من كثرة الزوار الذين يقصدونه مكتب الوزارة يوميا لقضاء مصالحهم، وتدل حركة هز الرأس على لغة غير منطوقة مفادها كأنها تقول (أتعجب من تصرف السيد الشكوري الذي يعد معارفه بالزيارة ويختبئ في مكتبه) فكانت تحس بالحرج في موقف كهذا.

3- حركة هز الرأس: من الصعوبة بمكان أن نعزل هذه الأعضاء عن بعضها، لأن الرأس هو عضو يضم الوجه والعينين، لكننا نعزلها فقط لكي نعاين لغة كل حركة على حدة، ثم لأن كل عضو يشتغل ويؤدي وظيفة لغوية معينة .

وقد أشرنا سابقا أن شخصيات محمد مفلاح الروائية، قد عمدت إلى حركة هز الرأس بكثرة، وقد وجدنا في رواية شعلة المايدة حركة هز الرأس تغني عن الجواب أحيانا، ومن أمثلة ذلك حوار راشد مع الشيخ التواتي :

((وقال له الشيخ التواتي بإعجاب:

- أنت من قبيلة عتيدة، وهز رأسه ثم تابع قائلا :

- أتعلم أن من يتولى قيادة هذه القبيلة يصبح مؤهلا لتولي منصب الباي ... أتعلم ذلك ؟

- هز راشد رأسه دون أن يتكلم))**20**

وهز الرأس دليل على الموافقة، وتؤدي هذه الحركة وظيفة الكشف عن أدب وأخلاق راشد أمام الشيخ التواتي، دون أن يخبرنا السارد بذلك.

ونجد في رواية عائلة من فخار حوارا غير لفظي من خلال الحركات التي كانت تبديها خروفة في حواها مع جيلالي العيار الذي خاطبها قائلا:

- أخفيت عني بعض أسرارك

مررت خروفة يمناها على وجهها الدائري ثم سألته باستنكار :

- عن أي أسرار تتحدث ؟
- ألم تكن لك علاقة بأستاذ جامعي ؟

وضعت خروفة يمناها على جبينها العريض وراحت تحملق في وجه الكهل .. الى أن قال لها :

- أمازلت تحبينه ؟

فطأطأت خروفة رأسها، وقالت له بصوت خافت :

- هل أصبحت تحقق في ماضي ؟**21**.

إن خروفة قد اعتمدت على حركات جسمية في حوارها مع خطيبها جيلالي العيار. وقد أدت كل حركة وظيفة معينة، فعندما مررت يمناها على وجهها كأنها كانت تقول له: أستنكر ما تتهمني به، ونلحظ أنها لم تجبه مباشرة على سؤاله، لأنها كانت تخفي عنه سر علاقتها برجل آخر. ولما سألها عن علاقتها بأستاذ جامعي، لم تجبه ب (نعم) أو (لا) مباشرة، فقد وضعت يمناها على جبينها العريض وكأنها تقول له بتلك الحركة: غريب أمرك كيف عرفت ذلك ؟ ووظيفة هذه الحركة أنها كشفت عن دهشتها وعجبها، وهي جواب غير لفظي.

وأما قوله لها: أمازلت تحبينه؟، فكان جوابها الأولي (أن طأطأت رأسها)، وكأنها تقول له: أخجلتني، أو لم تحرجني بهذا السؤال ؟

وقد أدت هذه الحركة الجسمية وظائف مهمة على مستوى الحوار منها أنها أجوبة صامتة غير ملفوظة، كما أنها كانت تغني عن الجواب اللفظي أحيانا، وكانت تكشف عن شخصية خروفة ومواقفها وأسرارها، لأن السارد لم يتسنى له الإخبار عن ذلك أثناء الحكي .

4 – حركات الجسم المختلفة :

وهي حركات متعددة قد تصاحب الكلام الملفوظ غير الأعضاء التي تحدثنا عنها، كتحريك الأيدي والأصابع ووضع الأيدي في أماكن مختلفة من

الجسم، وقد تنوب تلك الحركات عن اللغة المنطوقة بإشارة يبديها المتكلم ليفهم المرسل إليه ما يريد.

وقد وجدنا في رواية (انكسار) شيئا من ذلك، وهذا من خلال حوار عباس البري مع صديقته جويدة التي بدأت الحوار((قائلة بحزن :

- سأجيبك بصدق عن كل أسئلتك .
- وضع عباس يديه تحت ذقنه وسألها :
- من يكون هذا الرجل الذي طلب مني أن أبتعد عنك ؟
- لست أدري قد يكون أحد معارفي .

نهض عباس وأومأ إليها أن تجلس ولكنها هزت كتفيها وتحركت نحو الباب...

لم تنبس جويدة بكلمة، ولكنها رمته بنظرة قاسية ...

- ... كلنا ضحايا

هزت جويدة رأسها وركبت سيارتها))22

إذا أردنا أن نحلل هذا الحوار، وتأملنا عبارة (وضع عباس يديه تحت ذقنه وسألها عن الرجل) نجد تلك الحركة رسالة غير ملفوظة، وكأنه يقول لها: لا أستطيع أن أصدقك أو أثق فيك، أو أنت مخادعة وكاذبة .

وهذه الحركة الجسمية قد صاحبت كلام عباس البري، وبدونها لا نشعر بموقفه من هذه المرأة .

ونجد في عبارة: (وأومأ إليها أن تجلس ولكنها هزت كتفيها)، حركتين جسميتين من شخصين مختلفين، فكأنها قالت له لما (هزت كتفيها) لا أستطيع أن أبقى مع رجل مثلك، ووظيفة هذه الحركة عدم الرغبة في مواصلة الكلام، فكان الكلام بين الطرفين بحركتين جسميتين، لكنهما تؤديان طلبا وجوابا في صمت تام .

ولاشك أن غضب الرجل ويأس المرأة هو الذي جعل كلاهما يصمت، ويعبر بحركة جسمية غير منطوقة .

وكذلك تدل الحركة الجسمية الأخيرة (هزت جويدة رأسها وركبت سيارتها)، كأنها تقول له بهذه الحركة: أنت مجنون، أو أنت غريب الأطوار .

كما نجد في الرواية نفسها وفي موقف آخر عباس البري يقرأ جريدة، فيفاجأ بخبر وفاة أحد جيرانه ف (عض عباس شفته السفلى، ثم وضع كفه على جبينه، واستغفر الله)، فهذه الحركات الجسمية التي أبداها عباس، إنما هو

كلام قاله لنفسه لكنه غير منطوق، فكأنه قال لما عض شفته السفلى: إن الموت يتربص بكل حي، أو ربما قال: لماذا لم أسمع بموت جارنا ؟

وقد تدل حركته الثانية لما (وضع يده على جبينه) على ندمه وحيرته، فكأنه كان يقول: الله يرحمك يا جاري، أو يقول: كلنا سنموت لا محالة .

إن هذه الحركات الجسمية قد تحدث لا إراديا، ويختلف حدوثها من شخص لآخر، وغالبا ما تحدث أثناء تواصل الإنسان وحواره مع غيره ((وتعبر أوضاع الجسم المختلفة عن إشارات دلالية معينة، بدءا بالرجلين وانتهاء بقذال الرأس، بل إن الجسم في حال سكونه قد يكون معبرا عن معان))**23**.

ومن هذا المنطلق، يجب أن ندخل الإشارات المختلفة والإيماءات، ومختلف الحركات التي يستخدمها المتكلمون بقصد أو بغير قصد، ضمن بنية لغة الخطاب الحواري، لأن هذه الحركات تسهم بقسط كبير في إيضاح المعنى على حقيقته، وعليه ((فالحركات المصاحبة للكلام والإشارات اليدوية والتعبيرات الجسدية المختلفة، وباقي الأيقونات التواصلية– على تنوعها واختلافها – تساهم بشكل فعال في نقل الرسالة اللغوية وتعزيزها، وتسهيل عملية فهمها من قبل المستمع/المتلقي))**24**.

ويستفاد من هذا القول، أن أهم وظيفة تؤديها تلك الحركات والإشارات، أنها تسهم في نقل الرسالة من المتكلم إلى المتلقي، وتسعف هذا الأخير في فك شفراتها وفهم معانيها، لأن الكلام وحده من دون إشارات قد يكون غير واضح أحيانا، لكن تلك الإشارات تكمله وتعزز فهم الطرف المخاطب، كما أن تلك الإشارات وحدها غير كافية في عملية التواصل إلا في لغة الصم البكم الذين يجدون صعوبة في التواصل مع أفراد المجتمع .

ويؤكد الباحثون في مجال المحادثة وتبادل الكلام، أن ثمة نوعين من الترتيبات المتصلة بتبادل الحديث، وهي :

-أن يختار المتكلم بالفعل من يتكلم في إطار الحوار كأن يقول مثلا: ولنستمع الآن إلى رأي فلان في الموضوع، وهذا ما نلحظه في الحوار الذي يذاع في الإذاعة أو التلفزة عادة .

- أن يبادر المتكلم الذي أتيح له الكلام إلى البدء بالحديث، ويمكن أن يخبر أحد المتحاورين بعدم الانتهاء قصد عدم مقاطعته، وهنا يستعمل العبارات التالية (ومع ذلك، ومن ثمة، وعندئذ، ولأجل ذلك...)، وهي عبارات تدخل

ضمن بنية لغة الحوار. كما يمكن للمتحدث أن يعلن أنه لا يزال يتكلم، كأن يقول مثلا: (وأختصر قولي في نقطتين، أو حتى لا أطيل عليكم... وغير ذلك.

ويعد التناوب في الحديث أثناء الحوار من الأهمية بمكان، وذلك حتى يتمكن كل طرف من الكلام، ويعتمد التناوب على توزيع المعلومات بين المشاركين في المحادثة، ويعرض كل من المتحاورين الكلام المناسب، ويبدي رأيه في الموضوع، ويستخدم الحجج والبراهين لإقناع الآخرين، ويصطلح على هذا التناوب (الأزواج المتوازنة)، وهو عبارات يطلقها أحد المتحدثين، وتتطلب إجابة معينة من المتحدث الآخر **(25)**.

وتعد البنية الحوارية التي تتكون من (سؤال وجواب)، أو تحية تعقبها تحية، أو شكوى يعقبها اعتذار، أو دعوة يعقبها قبول أو رفض ... **(26)** **بنية مهمة من بنيات الحوار المنتظم.**

ومن أمثلة ذلك ما نجده في روايات محمد مفلاح في هذا الحوار الذي دار بين موسى وعواد الروجي:

- نهارك مبارك يا سي موسى .
- فرد موسى التحية باسما وسأله ضاحكا :
- لقد أتعبتك هذه العربة اللعينة.
- هذا حظ المزلوط مثلي ...
- ضحك موسى فقال له عواد الروجي :
- ومتى تشبعنا طعاما ؟
- في الأيام القريبة إن شاء الله. **(27)**

والمتأمل في بنية هذا المقطع الحواري، يلحظ أنه يتألف من أزواج متوازنة، حيث يتم فيه الكلام بالتناوب، وفيه التحية وردها، كما أنه يضم أسئلة وأجوبة أحيانا صريحة وأحيانا تفهم من سياق الكلام، ففي جواب سي موسى قال: (هذا حظ المزلوط مثلي)، ولم يقل: نعم لقد أتعبتني هذه العربة، لأن التعب ظاهر عليه ومن كلامه نفهم قولا لم يصرح به (لو كنت غنيا لاشتريت شاحنة، أو توقفت عن هذه الحرفة اللعينة).

ويرى علماء النفس الاجتماعي، أن الحوار أو المحادثة تشكل أهم أشكال التفاعل الاجتماعي، فهم يرون أن ((المحاور أو المتكلم غالبا ما يجري حوارا داخليا مع ذاته محاولا من خلال تخيل الأسئلة التي يتوقع أن يطرحها

المشاركون في الحوار، كما يحاول أن ينتقي الأجوبة التي يراها أكثر ملائمة وإقناعا)) (28).

ويرى هؤلاء العلماء أن ثمة شروطا كلما تهيأت للمتحاورين كلما كان الحوار نافعا بناء، ناجحا، وهي المعرفة بموضوع الحوار وقوانينه، ووسائله، والإرادة والرغبة في الحوار والرغبة في الإصغاء، والقدرة على الحوار من خلال مستواهم الثقافي والعلمي الذي يؤهلهم للمشاركة في الحوار.

ويعد الحوار السياسي المتلفز خير مثال نضربه في هذا المقام، من خلال حصص تعنى بالتحليل السياسي عندما يجمع منشط الحصة شخصين أو أكثر، قصد معالجة موضوع ما، حيث يتصل بهما مسبقا ويخبرهما بالموضوع، فيهئ كل منهما نفسه ويحضر الإجابة لما يتوقع أن يسأل عنه، كما أنه يحضر أسئلة للطرف الآخر لذلك يظهر لنا مثل هذا الحوار بالنجاح .

خاتمة:

ونخلص القول في هذه المقالة، أن الحوار من أهم بنيات اللغة، سواء في الكلام اليومي أو في الخطاب الأدبي من خلال الرواية والقصة القصيرة والمسرحية.

ونظرا لأهمية الحوار، اهتم به علم اللغة الاجتماعي، والتداولية، وتحليل الخطاب وغيرها .

ولم يعد الحوار تلك البنية السردية التي يدجها المحللون والدارسون في السرد، ولم يعد بنية مستقلة عن السرد، ولم يعد يعطل السرد، ويوقف الزمن كما كان في الدراسات الكلاسيكية. فقد تبوأ الحوار مكانة مهمة في الخطاب السردي، وأصبح يسهم في دفع عجلات السرد، ويؤدي عدة وظائف منها أنه يضيء بعض الجوانب المظلمة في النص الأدبي فيخبر عن بعض الأحداث التي أغفلها السرد.

لذا اشتغلت عليه التداولية، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم لغة النص وتحليل الخطاب، وكذا علم النفس خصوصا إذا تعلق الأمر بالحوار الداخلي مثل المونولوج، ومناجاة النفس، وتيار الوعي وأحلام اليقظة .

ولم أتطرق إلى الحوار الداخلي في هذه المقالة، لأني سلطت الضوء على بنية اللغة الحوارية الشكلية، وتقنيات الحوار الخارجي من خلال بعض النماذج الروائية لمحمد مفلاح، كون رواياته تهتم بالحوار الخارجي، لأنها تعالج الواقع الاجتماعي بما فيه من مشاكل وهموم في منطقة غليزان.

الإحالات :

(1) - ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، ج2، بيروت دار صادر 1997 م، ص: 182 .

(2) - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 2، ص: 151

(3) - الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، أساس البلاغة ـ تحقيق: عبد الرحيم محمود د.م انتشارات دفتر تبليغات الامير، د. ت ص: 98 .

(4) عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء، المغرب 2006 ، ص: 200

(5) محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010، المغرب، ص: 15

(6)– محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، دار الحكمة، الجزائر،2007 ص: 224 .

(7) محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة ، مصدر سابق، ص: 255 .

(8) محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة ، مصدر سابق، ص: 38 .

(9) محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة ، مصدر سابق، ص: 58 .

(10) محمد حسن عبد العزيز، علم اللغة الاجتماعي مكتبة الآداب، ط 1، القاهرة 2009، ص: 215.

(11) محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة ، مصدر سابق، ص: 288 .

(12) محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة ، مصدر سابق، ص: 130.

(13) محمد حسن عبد العزيز، المرجع السابق، ص: 216 .

(14) محمد حسن عبد العزيز، مرجع سابق، ص: 217 .

(15) جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء 2009 ص: 453 .

(16) جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، المرجع نفسه، ص: 455، 456 .

(17) محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح صويلح، الأردن، 2001، ص: 70

(18) جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، المرجع نفسه، ص: 457 .

(19) محمد مفلاح، رواية انكسار، دار طليطلة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010، ص: 87، 88

(20) محمد مفلاح، رواية شعلة المايدة، دار طليطلة للنشر والتوزيع، ط1، 2010، الجزائر، ص: 39

(21) محمد مفلاح، رواية عائلة من فخار، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص: 82، 83 .

(22) محمد مفلاح، رواية انكسار، دار طليطلة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010 ص: 101

(23) جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، المرجع نفسه، ص: 458 .

(24) احمد اسماعيلي علوي، التواصل الانساني، دراسة لسانية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2013، ص: 60 .

(25) محمد حسن عبد العزيز، المرجع سابق، ص: 217.

(26) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، ط 1، 1998 ن القاهرة، ص: 506 .

(27) محمد مفلاح، رواية انكسار، دار طليطلة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010، ص: 196.

(28) عبد الفتاح دويدارمحمد عبد الفتاح، سيكولوجية الاتصال والإعلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979، ص: 62، 68.